# حرب لبنان 2006 ومستقبل الفكر العسكري / الجزء الثاني

يوجه الجدل الدائر حول طبيعة الحرب المقبلة قسم كبير من تخطيط الدفاع الأميركي، بدءاً من القرارات حول بنية القوة وصولاً الى تخصيص الموارد، التحديث، العقيدة المشتركة، التحول، وإستخدام القوة. وهذه الجدالات متأثرة بقوة بتفسيرات تجربة قتالية أخيرة – تجربتنا الخاصة وتجربة آخرين. إذ كانت الحالات الشرق أوسطية، بشكل خاص، مؤثرة في هذا السياق. فالإنطباعات الأولية لمدى فتك الأسلحة المضادة للدبابات الموجهة الدقيقة في حرب أكتوبر 1973، على سبيل المثال، قدمت حافزاً قوياً لإحدى أكثر المراجعات الأميركية للحرب الباردة إكتساحاً في تطوير مفهوم الدفاع الفعال للجيش. وأثبتت الحسابات بشأن الفعالية الإسرائيلية بإستخدام تكنولوجيا الحرب الجوية الجديدة في حربهم عام 1982 مع سوريا بأنه مؤثر بشدة في منشأ "الثورة في بحث الشؤون العسكرية" في نقاش الدفاع الأميركي.

أما صراع 2006 بين إسرائيل وحزب الله في لبنان فبإمكانه إثبات تأثيره بشكل مساو اليوم فالقضية المركزية في جدل اليوم هي دور المعادين غير الحكوميين في التخطيط الدفاعي. إذ يُعتقد بشكل واسع بأن أعداء كهؤلاء سيكونوا، وبشكل متزايد، شائعين في المستقبل، ويؤيد كثيرون الآن تغييراً كاسحاً في الوضعية العسكرية الأميركية إستعداداً لهذا الأمر. وكمثال بارز على محاربة فاعل غير حكومي لدولة متغرِّبة، تقدم حرب حزب الله 2006 نافذة للدخول على نوع من الحروب تعتبر، وبشكل متزايد، مسألة مركزية بالنسبة للتخطيط الدفاعي.

لقد كُتب الكثير عن هذه الحرب، خاصة في إسرائيل، حيث لقضية الأداء الإسرائيلي وعملية صنع القرار تعقيدات عسكرية وسياسية حزبية. وقد تحمل إدارة إسرائيل للحرب دروساً هامة أيضاً بالنسبة للولايات المتحدة. لكن بنفس القدر من الأهمية هناك السؤال بشأن حزب الله ذاته وأساليبه. إذ كيف تمكن هذا الفاعل غير الحكومي من شن حرب في العام 2006؟ ماذا كانت نقاط قوته، ضعفه، تكتيكاته، وإستراتيجياته، وما الذي تتضمنه هذه الأمور بالنسبة لتصميم ونمط الجيوش الغربية التي قد يكون عليها محاربة أعداء مشابهين في المستقبل؟

حالياً، تختلف الإجابات على هذه الأسئلة. إذ ترى إحدى المدارس حزب الله بمثابة منظمة إرهابية بجوهرها يستخدم نسخة عصر معلومات للأساليب العسكرية اللا متماثلة المعتبرة، تاريخياً، نموذجية لفاعلين غير حكوميين. وبحسب وجهة النظر هذه، كان هدف حزب الله الفوز بحرب معلومات لأجل الرأي العام في لبنان وخارجه، مصلباً موقفه السياسي بصفته حاملاً راية المقاومة العربية لإسرائيل بجره إياها الى حرب عصابات لم يكن بإمكانها الفوز بها في الوقت الذي يقوم فيه بالترويج للأخطاء الإسرائيلية الحتمية والقتلى المدنيين. أما التكتيكات المتبعة لتنفيذ هذه الإستراتيجية فيُنظر إليها كنسخة ذات تقنية أعلى لحرب عصابات نموذجية: القنص، برغم أنه بصواريخ حديثة مضادة للدبابات؛ كمائن إضرب وأهرب؛ العبوات الموضوعة على جانب الطرق؛ الإطلاق المرهق للصواريخ وقذائف المورتر، التي غالباً ما تكون ضد أهداف مدنية في إسرائيل؛ إستخدام المدنيين اللبنانيين كدروع بشرية لحماية رجال العصابات من القوة النارية الإسرائيلية؛ وجهود لإستفزاز جيش الدولة وحثه على إستخدام مفرط للعنف والقيام بأعمال قتل واسعة للأبرياء. أما الأمر الجديد بهذا الصدد فكان، وبشكل رئيس، إستخدام حزب الله الرئيس للإنترنت وشبكات الكابلات الإخبارية المتعاطفة للترويج لأنشطته العسكرية، المقصود منه، أساساً، إبراز هذه الأنشطة كمشاهد مثيرة لإجتذاب عامة الناس.

في كل الأحوال، يرى آخرون حرب حزب الله 2006 بمثابة تغيير وإقلاع رئيس عن الأساليب غير المتماثلة للإرهابيين أو لرجال العصابات التقليديين وكتحول بإتجاه الأساليب العسكرية التقليدية المرتبطة طبيعياً بفاعلين حكوميين. وبحسب وجهة النظر هذه، يُقال بأن حزب الله قد دافع عن الأرض، جهز المواقع لحرب مستمرة يتمكن من تحملها دفاعاً عن تلك الأرض، وبأنه ناور مقاتلين مسلحين، مدربين ومجهزين بشكل تقليدي في محاولة لإلحاق الهزيمة بغزو إسرائيلي بطريقة شابهت عقائد جيش دولة تقليدي أكثر منها منظمة إرهابية تقليدية. أما الجديد بالأمر، في هذه الحسابات البديلة، فهو الى أي

مدى إختلفت حرب 2006 عن حرب عصابات أو حرب إرهابية - عصر معلومات أم لا – والى أي حد كان القتال يشبه حرباً تقليدية وحرب دولة.

تتضمن وجهات النظر المتضاربة هذه أجندات سياسية مختلفة جداً عن تلك التي للولايات المتحدة. إن إحتساب حزب الله كقوة عصابات لعصر معلومات يعزز القضية بخصوص القيام بإعادة تصميم كبرى للجيش الأميركي لإعادة موضعته وفقاً لحرب غير نظامية. فعلى إمتداد عقد من الزمن، حاجج منتقدون بقولهم بأن الولايات المتحدة مستثمِرة بشكل مبالغ فيه بالقدرة التقليدية وبأن عليها إعادة هيكلة نفسها لصراع غير نظامي أو منخفض الحدة؛ وقد حولت حرب العصابات في العراق هذا الجدل الى شيئ يشبه الحكمة التقليدية في النقاش الأميركي اليوم. إن تفسير حرب 2006 كحرب غير نظامية يعزز القضية المرتبطة بذلك لما يمكن الإصطلاح على تسميته أجندة "تحول منخفض التقنية". أما مؤيدو هذا التفسير فيختلفون في التفاصيل، لكن معظم هؤلاء يريدون توسيع الجيش والمارينز؛ إعادة تجهيز هذه القوة البرية الأكبر حجماً بأسلحة وآليات أخف وزناً؛ إعادة هيكلتها للتقليل من أهمية التشديد على سلاح المدفعية والمدرعات لصالح مشاة خفيفو الحركة، الشؤون المدنية، الشرطة العسكرية، المستشار العسكري، وقدرة القوات الخاصة؛ وإعادة تخطيط التدريب، العقيدة، الثقافة، التجنيد، وأنظمة الترويج وذلك للتشديد على أساليب ومهارات حرب غير نظامية منخفضة الحدة بدلاً من حرب تقليدية. وسيكون هناك حاجة لتغييرات كبرى في عملية الوكالات الحكومية المتبادلة تستبدل نظام صنع القرار المجزأ والبطيء بنظام رشيق حذق ومندمج كفاية للتنافس بفعالية مع معادين أذكياء سياسياً، وداهية إعلامياً في إبراز نتائج حرب كهذه بشكل مقنع للمشاهدين في الخارج. وإذا كان الأمر كذلك، فإن التغييرات الضرورية في برنامج الدفاع ستكون باهظة الكلفة للغاية؛ كثيرون سيدفعون الثمن لهذا عن طريق تخفيض مستوى، أو التخلي عن، برامج التحديث العالية التقنية لسلاحي الجو والبحر؛ تخفيض حجم القوات الجوية و البحرية؛ تخفيض مستوى تدريب وتحضير القوات البرية للقتال بحرب تقليدية. أما النتيجة فستكون مؤسسة عسكرية ودفاعية أميركية مختلفة جداً - بدءاً من حجمها وصولاً الى بنيتها، تجهيزاتها، أفرادها وعقيدتها.

بالمقابل، فإن إحتساب حزب الله كجيش تقليدي يُضعف القضية لجهة القيام بتحول كهذا. بدلاً من ذلك، تقتضي وجهة النظر هذه القول بأن جيشاً ذي هيكلية تقليدية هو بالواقع مناسب لمستقبل من الأعداء غير الحكوميين أكثر من التحول المنخفض التقنية الذي يدعيه المؤيدون له. فحيث بالإمكان تطوير القتال المنخفض الحدة من دون تقويض الأداء التقليدي سيكون ذلك أمراً حكيماً دوماً، لكن كثيرون في هذا المعسكر يرون المقايضات الحادة بين القوات وبين التدريب الضروري لحرب لا نظامية على أنها معاكسة لحرب تقليدية؛ وإذا كان الأمر كذلك، عندها ستكون مسألة التحول الجذري نصيحة بائسة وبأن هيكليات، عقائد، وتدريب القوات التقليدية هي مسار أفضل بالنسبة للمستقبل.

وسوف نناقش لاحقاً بأن أياً من التفسيريْن للمدرستين لا يتوافق تماماً وإدارة حزب الله الفعلية لحرب 2006، إلا أن التفسير الأخير هو أقرب من الأول. ما يعني بأن أساليب حزب الله هي في مكان ما بين مفاهيم حرب العصابات الشائعة والحرب التقليدية – إلا أن معظم الفاعلون العسكريون هم كذلك، سواء كانوا حكوميين أم غير حكوميين. إن التوجه المألوف والعادي للنظر الى أساليب العصابات والأساليب التقليدية على أنها إنقسام حاد بالرأي هو توجه خاطئ، وقد كان كذلك لمدة قرن من الزمن على الأقل. بالواقع، هناك عناصر عميقة الجذور لأساليب " العصابات" في السلوك العسكري لكل جيوش الدول تقريباً في الحرب التقليدية، بدءاً من التكتيكات وصولاً الى الإستراتيجية. فلطالما إستخدمت معظم منظمات رجال العصابات غير الحكومية تكتيكات وإستراتيجيات يميل معظم المراقبين لربطها بسلوك جيش الدولة. بالواقع، هناك إمتداد وسلسلة متوالية للأساليب بين طرفي قطبيْ "خط ماجينو" و "فييت كونغ"، وبأن معظم حالات عالم الواقع تقع في مكان ما بينهما. وتقع حرب 2006، أيضاً، في مكان ما بينهما. في كل الأحوال، إن وضع هذه الحرب ضمن هذه السلسلة الممتدة المتوالية هو أبعد من حد مستوى " فييت كونغ" مما يفترضه عدد من مؤيدي التحول المنخفض التقنية بكثير - كما أن الإختلاف الأكبر، في الواقع، بين أساليب حزب الله و تلك التي لجيوش غربية حديثة قد تكون بالفعل كفاءة التنفيذ المشوبة بالعيوب لحزب الله بدل العقيدة التي كان الحزب يحاول تنفيذها.

ونحن نبني هذا التقييم، بشكل رئيس، على أساس سلسلة من 36 مقابلة مع مصادر رئيسة مع مشاركين إسرائيليين في الحرب الذين كانوا في موقع يلاحظون فيه سلوك حزب الله الفعلي في الميدان في عام 2006، مقترناً مع إستدلال منقوص مستمد من سلوك قابل للملاحظة لحزب الله في الميدان وصولاً الى إستنتاجات بخصوص مقصده الإستراتيجي الأكبر بخصوص الحرب. وحيثما يكون ممكناً، فإننا نكمل هذا بدليل مستمد من مقابلات إسرائيلية مع بضعة مقاتلين من حزب الله تم أسرهم، لكن لم يكن لدينا إمكانية دخول نظامية الى الجانب الآخر لحزب الله في الحرب، وبذلك فإن إستنتاجاتنا مستمدة من وحدة مدمجة مؤلفة من دليل ملاحظاتي إسرائيلي ومن الإستنباط المنقوص من ذلك الدليل.

ونقدم التحليل النهائي في خطوات ست. أولاً، نطور تصنيفاً للسلوك العسكري، متعاملين مع هذا الأمر كسلسلة ممتدة متوالية بدلاً من التعامل معه كإنقسام متناقض بالرأي لما هو "غير نظامي " ولما هو "تقليدي"، والإحتجاج بأن معظم الحالات الواقعية تقع في مكان ما في وسط السلسلة النظرية. ثانياً، نقوم بتحديد الأحداث الأساسية للحرب. ومن ثم نصف تكتيكات حزب الله في حرب 2006 بالرجوع الى مصادر علم التصنيف. بعدها، نقوم بنفس الشيئ بالنسبة لإستراتيجية حزب الله ومسرح عملياته. ونتبع ذلك بتقييم لكفاءة حزب الله ومهارته في تنفيذ هذه الأساليب. لننتهي بتقييم موجز وبالتعقيدات الموجودة بالنسبة لسياسة الدفاع والجيش الأميركي.